وهكـذا فالنص الـروائي في هذه الحـالة لا يعبـر عن معرفـة ـ لأنـه لا يمكن أن يعكس الحقيقة الكلية للمسـار التاريخي ـ ولكنـه يعبر عن معنى من المعـاني أي يعبر عن حـدوده المعرفية. ويَسْتَنْتِجُ ماشيري من هذا كله بأن النتاج الأدبي عند تولستـوي يمتلك بسبب تلك الخصائص طابعاً «تعبيرياً». فمن داخل ذلك التناقض بين الإديولوجيات ينبثق التعبير الذي يعمل على تفجير هذا التناقض وتوليد المعنى[41].

وهنا يتحدث ماشيري عن اكتمال النِّتاج الأدبي فيما يخص بنيته الذاتية، فبالنظر إليـه في ذاتـه فهو تـام ودال. ولا يعني «تام» هنـا أن الحقيقة فيـه مكتملة بل يُنْـظَرُ فقط إلى البنيـة العَامِلَة في النتاج ذاته لا إلى علاقته بالواقع الخارجي. أما عـدم تمامـه من حيث أنه مـرآة فهو بالتحديد ما يجعله تعبيرياً أي تامـاً في ذاته ودالاً وذا معنى[42] لأنـه لو كـان مِرْآةً أمينـة للواقع فلن تكون له أية قيمة دلالية، لأنه سيكتفي عندئذ بنقل الواقع كما هو، أما وهو غير مكتمل فإنه يكمل صورته الخاصة هادفاً إلى تكميل صورة الواقع الناقصة بالنسبة إليه. هذا ما يمكن أن يُفْهَمَ من عبارة ماشيري التالية:

«إن المرآة تعبيرية، لأنها لا تعكس، أكثر مما هي تعبيرية لأنها تعكس»[43].

وعندما ينفي ماشيري الصفة المعرفية عن هذه الخاصية التعبيرية ـ كما رأينا سـابقاً ـ فهـو يؤكد الطابع الإديولـوجي للنتاج الأدبي فيمـا يخص موقف المتكلم فيـه أيضاً، ذلـك الذي يُطْلِقُ عليه اسم المؤول L'interprêt[44].

ومن الضروري أن نحدد الآن نوعية الإديولوجيا التي يتحدث عنهـا ماشيري عندمـا يشير إلى علاقات التناقض الإديولوجية المكـونة لمحتـوى النتاج الأدبي، ونـذكر هنـا أننا عنـدما نقول الإديولوجيا في الرواية، نقصـد بالـذات الإديولـوجيا المُكَـوِّنة لمحتـوى النتاج الأدبي مثلما هو مقصود بالذات عند ماشيري. ونوعية هـذه الإديولـوجيا عنـده هي تلك التي تنتمي إلى الحقل السياسي، يتضح ذلك من خـلال تحدثـه عما سمـاه طبيعة الإديـولوجيـا بشكل عام، وهو يحيـل في هذا الشـأن على التوسير[45]. ومعلوم أن التوسيـر قد أكـد على أهمية الدور الذي تلعبه البنية الفكرية: سياسية إديولوجية أو إبداعية في التأثير في الواقع، وهو مـا وجَّهَ الاهتمام إلى طبيعة هذه البنيـة نفسها. وقـد حاول مـاشيري وغيـره وخصوصـاً «تيري

(41) Ibid., P. 150

(42) Ibid., P. 151.

(43) Ibid., P. 151

(44) Ibid., P. 152

(45) Ibid., P. 153